Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خرقة ، ينتقل من بلد إلى آخر ، يعظ الناس فى الشوارع والميادين أحيانًا ، فى أسلوب خشن ، لا يفرق بين الكبير والصغير ، وتفكيره فى أن يعزف بالبزق ليلا ، فإذا سمعه الناس أخذوا فى محاسبة نفوسهم ، متعرضًا لا تهامه بالحمق والجنون ، وتفرغه أحيانًا للتبشير بالمسيحية فى الجبال والوديان ، يمضى على « باب الله » الذى يقيم أوده ، أو اعتكافه فى مغارة يستغرق فى تأملاته ، منفردًا « بمحبوبه » ، بعيدًا عن الوحدة التى يشعر بها وهو بين الناس وفى غمار المجتمع ، وكل ذلك كان يقوم به أعداد لا تحصى من المرابطين المسلمين على أيامه ، على امتداد شواطىء أفريقيا التى زارها .

وعقيدته الخاصة أن كل علم إشراق أو فيض من الله ، ويجىء دون وسيلة ثقافية ، وفيه يسبق الإيمان الفهم ، والحقيقة مبدأ مشترك بينهما ، ويصعد الفهم عبر سلم حيث الإيمان يسبقه ، وهذا يعتمد على ذاك للتعمق فى الأسرار الإلهية ، والعلم هنا واحد والكل منسجم ، العالى والهابط ، الحسى والمعنوى ، وتضيق الخلافات الكبرى والتناقضات ، وكل هذا يقول به المرابطون المسلمون ويمارسونه منذ أعوام طويلة ، قبل أن يولد رايموندو لوليو .

وهذه التأكيدات الجريئة لها نكهة القول بألهية الكون أو « الطمأنينة » ، وفيها يؤكد أن « المحبوب والصديق » يصبحان فى لحظة الشطح وحدة فعلية فى جوهرهما ، مع نهج واضح فى الوقت نفسه ، وقناعة عميقة ، بصحة العقيدة وصفائها . وبراهينه « العقائدية الميتافزيقية » هذه ، يراها بعض المؤلفين خليطًا غامضًا مما هو صوفى وعامى ، وبين ماهو مقدس وعلمانى ، بين مايبدو حماقة وبين أرق الخواطر ، حجج لا يفهمها كثير من المسيحيين ، وتبدو فى نظر لوليو واضحة تمامًا ، وتلك التقنية الغريبة جدًا ، وغير المفهومة أبدًا ، والتى قيل عنها إننا فقدنا معها مفتاح ذكائه ، على حين أن كل الطعوم الغامضة لطريقته ، تقنية وفكرًا ومذهبًا فى القول ، جاءته من الصوفية المسلمين المعاصرين له .

وثمة منهج تربوى خاص ، وكان تجديدًا أدخله هذا العالم المستنير ، وطبقًا له كل شىء يُعلَّم شعرًا ، حتى المنطق . وكل شىء ينشر نثرًا يتم عن طريق التصوير ، بعيدًا عن النظريات البحتة ، والأفكار التجريدية ، وإنما يعرض مصورًا فى جداول ودوائر